فلينظـــر الإنســـان إلى طـعامه

بقلم الدكتور: زغلول النجـار

هذه الآية الكريمة جاءت في مطلع النصف الثاني من سورة عبس، وهي سورة مكية، وعدد آياتها ٤٢ بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لإعراض رسول الله(صلى الله عليه وسلم) عن ابن أم مكتوم، وعبوسه في وجهه(وكان رجلا أعمى) حين جاء يلتمس العلم الشرعي، ورسول الله(صلى الله عليه وسلم) مشغول مع جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام، فنزلت هذه السورة المباركة معاتبة أفضل خلق الله قاطبة على هذا الموقف لتؤكد قيمة إسلامية عليا مؤداها المساواة بين الناس على الرغم من تباين مستوياتهم الاجتماعية، وإمكاناتهم المادية من مال وجاه وسلطان، والمفاضلة بينهم فقط على أساس من تقوى الله، وفي ذلك يقول ربنا(تبارك وتعالى) في سورة الحجرات:

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى* وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير* (الحجرات:١٣)

والمحور الرئيسي للسورة الكريمة يدور حول قضية العقيدة، والوحي بها، والآخرة وأهوالها، وتستدل على صدق ما جاء بها بخلق الإنسان من نطفة، وتقدير صفاته وجنسه، وأجله ورزقه، وشقي أم سعيد، وتيسير سبل الحياة له، وسبل الهداية فيها، وقد قدر الله(تعالى) عليه بعد ذلك الموت والبعث والنشور والحساب، والخلود في حياة مقبلة إما في الجنة أبدا أو في النار أبدا، وكثير من الكافرين تمضي بهم الحياة دون أن يحقق الواحد منهم شيئا من واجباته فيها أو أن يعرف الغاية من وجوده في هذه الحياة الدنيا، فينتهي أجله ليلقى الله(تعالى) صفر اليدين، مثقل الكاهل بالذنوب. وتستدل السورة الكريمة كذلك بما خلق الله(تعالى) من أنواع الطعام لكل من الإنسان والحيوان، وتختتم بالحديث عن القيامة وأهوالها، وعن تمايز الناس فيها بين مؤمن صادق، وكافر فاجر فيقول ربنا(تبارك وتعالى) في ختامها:

وجوه يومئذ مسفرة* ضاحكة مستبشرة* ووجوه يومئذ عليها غبرة* ترهقها قترة. أولئك هم الكفرة الفجرة* (عبس:٣٨ ـ ٤٢).

من الآيات الكونية فى سورة عبس:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(١) خلق الإنسان من نطفة، والنطفة في اللغة هي القليل من الماء الذي يعدل قطرة، وفي القرآن الكريم يقصد بالنطفة كل من الحيوان المنوي والبييضة، فإذا اتحدا سميت اللقيحة الناتجة عن اتحادهما باسم النطفة الأمشاج، أي المختلطة، ويبدأ مصطلح النطفة من الحيوان المنوي والبييضة وينتهي بطور الحرث(الانغراس).
(٢) تقدير النطفة، ويأتي لفظ التقدير بمعنى التروية والتفكير في تسوية أمر من الأمور وتهيئته، وتقديره بعلامات تطبع عليه، ويقصد بالتقدير هنا ما يعرف اليوم باسم البرمجة الجينية أو تحديد الصفات التي سوف تظهر على الجنين في المستقبل والتي تعرف باسم الصفات السائدة، وكذلك الصفات المتنحية لتظهر في الأجيال المقبلة من نسله، وبذلك يتم تقدير أوصاف الجنين وتحديدها لذاته ولنسله من بعده إلى يوم الدين.

ويتضمن التقدير الذي يحدث في النطفة الأمشاج تحديد جنس الجنين ذكرا كان أو أنثى، وفي ذلك يقول الحق (تبارك وتعالى):
وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى* من نطفة إذا تمنى*(النجم:٤٥، ٤٦).

(٣)(ثم السبيل يسره): وهي إشارة إلى مرحلة انتهاء الحضانة الرحمية بولادة الجنين، وفيها قدر الخالق (سبحانه وتعالى) تيسير طريق الجنين لتيسير ولادته، وذلك بإفراز العديد من الهرمونات، والسوائل المخاطية والأغشية التي تعين الجنين على الخروج بيسر إلى الحياة الصاخبة خارج بطن أمه.
(٤) تنبيه الإنسان الغافل، والجاحد لنعم الله(تعالى) عليه، كي ينظر إلى طعامه، ويتفكر في الذي أعده له بالعديد من العمليات الدقيقة والمرتبة والمسخرة لإنزال المطر ولجعل الأرض قادرة على الإنبات، وخلق مختلف النباتات فيها من ذوات المحاصيل(كالحبوب، والأعناب، والبقول، والخضراوات، والزيتون، والنخيل، ومختلف أنواع الفواكه والثمار) ومن غير ذوات المحاصيل(كالكلأ والعشب) مما يحتاجه كل من الإنسان والأنعام في طعامه، والطعام ضرورة من ضرورات نمو كل منهما، كما أنه لازم لتعويض ما يموت من خلاياه، ولازم لبقائه على قيد الحياة إلى أن يتوفاه الله.

وكل قضية من هذه القضايا تحتاج إلى معالجة خاصة بها، لكني سوف أقصر حديثي هنا على النقطة الأخيرة المتعلقة بدعوة القرآن الكريم للإنسان الجاحد أن ينظر إلى طعامه ليدرك مدى نعم الله(تعالى) عليه في هذه القضية وحدها التي لخصتها سورة عبس في تسع آيات(٣١:٢٤)، وقبل الشروع في ذلك لابد من استعراض سريع لأقوال عدد من كبار المفسرين القدامى والمعاصرين في شرح هذه الآيات التسع المباركات.

من أقوال المفسرين في تفسير قوله(تعالى):
فلينظر الإنسان إلى طعامه* أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا* وزيتونا ونخلا* وحدائق غلبا* وفاكهة وأبا* متاعا لكم ولأنعامكم*(عبس: ٢٤ ـ ٣١)

* ذكر الطبري(رحمه الله) ما نصه:(فلينظر الإنسان) يعني: الكافر(إلى طعامه) كيف دبره الله؟ وقيل إلى مدخله فيه ومخرجه.(أنا صببنا الماء) الغيث(صبا)،(ثم شققنا الأرض) بالنبات(شقا. فأنبتنا فيها حبا): حب الزرع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(وعنبا): كروما(وقضبا) يعني بها: الرطبة، وأهل مكة يسمون القت: القضب،(وحدائق غلبا) بساتين محوطا عليها(غلبا): غلاظا يستظل بها(وفاكهة) من ثمار الأشجار(وأبا): ما تأكله البهائم من العشب والنبات(متاعا لكم ولأنعامكم) تتمتعون بها وتنتفعون.

* وذكر ابن كثير(يرحمه الله) ما نصه: وقوله تعالى:(فلينظر الإنسان إلى طعامه) فيه امتنان، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة، على إحياء الأجساد بعدما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا،(أنا صببنا الماء صبا) أي أنزلناه من السماء على الأرض،(ثم شققنا الأرض شقا) أي أسكناه فيها فيدخل في تخومها، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض،(فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا)، فالحب كل ما يذكر من الحبوب، والعنب معروف، والقضب هو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة، ويقال لها القت أيضا. قال ذلك ابن عباس وقتادة، وقال الحسن البصري: القضب العلف(وزيتونا) وهو معروف، وهو أدم وعصيره أدم، ويستصبح به ويدهن به(ونخلا) يؤكل بلحا وبسرا، ورطبا وتمرا، ونيئا ومطبوخا، ويعتصر منه رب وخل.(وحدائق غلبا) أي بساتين، قال الحسن وقتادة: غلبا نخل غلاظ كرام، وقال ابن عباس ومجاهد: كل ما التف واجتمع، وقال ابن عباس أيضا(غلبا) الشجر الذي يستظل به، وقال عكرمة(غلبا) أي غلاظ الأوساط، وقوله تعالى(وفاكهة وأبا) أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار، قال ابن عباس: الفاكهة كل ما أكل رطبا، والأب ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس، وفي رواية عنه: هو الحشيش للبهائم، وقال مجاهد: الأب الكلأ، وعن مجاهد والحسن: الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم، وعن عطاء كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب، وقال الضحاك: كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب. وقال العوفي، عن ابن عباس: الأب: الكلأ والمرعي....

* وجاء في تفسير الجلالين(رحم الله كاتبيه) ما نصه:(فلينظر الإنسان) نظر اعتبار(إلى طعامه) كيف قدر ودبر له.(أنا صببنا الماء) من السحاب على الأرض(صبا) أي بغزارة.(ثم شققنا الأرض) بالنبات(شقا).(فأنبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير.(وعنبا وقضبا) هو: القت الرطب علفا للدواب.(وزيتونا ونخلا) أي: شجرتا الزيتون والنخيل.(وحدائق غلبا) بساتين كثيرة الأشجار.(وفاكهة وأبا) ما ترعاه البهائم، وقيل التبن.(متاعا) متعة أو تمتيعا...(لكم ولأنعامكم) جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم.
* وذكر صاحب الظلال(رحمه الله رحمة واسعة) ما نصه: وينتقل السياق إلى لمسة أخرى في مقطع جديد... فتلك هي نشأة هذا الإنسان.. فهلا نظر إلى طعامه وطعام أنعامه في هذه الرحلة؟ وهي شيء واحد من أشياء يسرها له خالقه؟

هذه قصة طعامه مفصلة مرحلة مرحلة، هذه هي فلينظر إليها، فهل له من يد فيها؟ هل له من تدبير في أمرها؟ إن اليد التي أخرجته إلى الحياة وأبدعت قصته، هي ذاتها اليد التي أخرجت طعامه، وأبدعت قصته...(فلينظر الإنسان إلى طعامه)، ألصق شيء به، وأقرب شيء إليه، وألزم شيء له.. لينظر إلى هذا الأمر الميسر الضروري الحاضر المكرر. لينظر إلى قصته العجيبة اليسيرة، فإن يسرها ينسيه ما فيها من العجب، وهي معجزة كمعجزة خلقه ونشأته، وكل خطوة من خطواتها بين القدرة التي أبدعته:(أنا صببنا الماء صبا).. وصب الماء في صورة المطر حقيقة يعرفها كل إنسان في كل بيئة، في أية درجة كان من درجات المعرفة والتجربة. فهي حقيقة يخاطب بها كل إنسان، فأما حين تقدم الإنسان في المعرفة فقد عرف من مدلول هذا النص ما هو أبعد مدى وأقدم عهدا من هذا المطر الذي يتكرر اليوم ويراه كل أحد.
واستعار صاحب الظلال(رحمه الله) فرضا عن أصل ماء الأرض نقله عن كتاب الإنسان لا يقوم وحده(تأليف أ. كريس موريسون وترجمه محمود صالح الفلكي بعنوان:(العلم يدعو للإيمان) ثم أضاف: ذلك كان أول قصة الطعام:(أنا صببنا الماء صبا).. ولا يزعم أحد أنه أنشأ هذا الماء في أي صورة من صوره، وفي أي تاريخ لحدوثه، ولا أنه صبه على الأرض صبا لتسير قصة الطعام في هذا الطريق!.

(ثم شققنا الأرض شقا).. وهذه هي المرحلة التالية لصب الماء. وهي صالحة لأن يخاطب بها الإنسان البدائي الذي يرى الماء ينصب من السماء بقدرة غير قدرته، وتدبير غير تدبيره. ثم يراه يشق الأرض ويتخلل تربتها. أو يرى النبت يشق تربة الأرض شقا بقدرة الخالق(سبحانه) وينمو على وجهها، ويمتد في الهواء فوقها.. وهو نحيل والأرض فوقه ثقيلة . ولكن اليد المدبرة تشق له الأرض شقا، وتعينه على النفاذ فيها وهو ناحل لين لطيف. وهي معجزة يراها كل من يتأمل انبثاق النبتة من التربة، ويحس من ورائه انطلاق القوة الخفية الكامنة في النبتة الرخية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأما حين تتقدم معارف الإنسان فقد يعن له مدى آخر من التصور في هذا النص، وقد يكون شق الأرض لتصبح صالحة للنبات أقدم بكثير مما نتصور. إنه قد يكون ذلك التفتت في صخور القشرة الأرضية بسبب الفيضانات الهائلة...، وبسبب العوامل الجوية الكثيرة التي يفترض علماء اليوم أنها تعاونت لتفتيت الصخور الصلبة التي كانت تكسو وجه الأرض وتكون قشرتها، حتى وجدت طبقة الطمي الصالحة للزرع. وكان هذا أثرا من آثار الماء تاليا في تاريخه لصب الماء صبا، مما يتسق أكثر من هذا التتابع الذي تشير إليه النصوص.

وسواء كان هذا أم ذاك أم سواهما هو الذي حدث، وهو الذي تشير إليه الآيتان السابقتان فقد كانت المرحلة الثالثة في القصة هي النبات بكل صنوفه وأنواعه التي يذكر منها هنا أقربها للمخاطبين، وأعمها في طعام الناس والحيوان:(فأنبتنا فيها حبا).. وهو يشمل جميع ما يأكله الناس في أية صورة من صوره، وما يتغذى به الحيوان في كل حالة من حالاته.(وعنبا وقضبا).. والعنب معروف، والقضب هو كل ما يؤكل رطبا غضا من الخضر التي تقطع مرة بعد أخرى(وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا وفاكهة وأبا)... والزيتون والنخل معروفان لكل عربي، والحدائق جمع حديقة، وهي البساتين ذات الأشجار المثمرة المسورة بحوائط تحميها. و(غلبا) جمع غلباء أي ضخمة عظيمة ملتفة الأشجار. والفاكهة من ثمار الحدائق و(الأب) أغلب الظن أنه الذي ترعاه الأنعام....

* وجاء في صفوة البيان لمعاني القرآن(رحم الله كاتبها برحمته الواسعة) ما نصه:(فلينظر الإنسان إلي طعامه) كيف دبر:(أنا صببنا الماء صبا) أنزلنا له الغيث من السماء إنزالا.(ثم شققنا الأرض شقا) شققناها بالنبات شقا بديعا، لائقا بما يشقها منه صغرا وكبرا، وشكلا وهيئة.(حبا) ما يقتات به الإنسان ويدخره، من نحو الحنطة والشعير والذرة.(وعنبا) يتفكه به.(وقضبا) علفا رطبا للدواب ويسمى الفصفصة، وإذا يبس يسمى القت، وسمي قضبا لأنه يقضب أي يقطع بعد ظهوره مرة بعد أخرى كالكلأ والبرسيم. وقيل: القضب ما يقضب من النبات ليأكله الإنسان غضا طريا، كالبقول التي تقطع فينبت أصلها.(وحدائق) بساتين محوطة، جمع حديقة، وهي ما أحيط من النخل والشجر، فإذا لم يحط فليس بحديقة، بل هو بستان، ومنه أحدقوا به أي أحاطوا به.(غلبا) عظاما، جمع أغلب وغلباء. والغلباء هي الحديقة الغليظة الأشجار الملتفة. وأصلها من الغلب بفتحتين (بمعنى الغلظ، يقال: غلب) كفر أي غلظ عنقه، ومنه: الأغلب للغليظ الرقبة، وهضبة غلباء: أي عظيمة مشرفة.(وأبا) الأب: الكلأ والمرعي، وهو ما تأكله البهائم من العشب، من أبه: إذا أمه وقصده، لأنه يؤم ويقصد. أو من أب لكذا: إذا تهيأ له، لأنه متهيئ للرعي. أو ما تأكله البهائم من العشب والنبات، رطبا كان أو يابسا. فهو أعم من القضب، أو هو التبن خاصة.
* وذكر كل من أصحاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم وصفوة التفاسير كلاهما مشابها لا أرى داعيا لتكراره هنا.

أولا: فلينظر الإنسان إلى طعامه: من الدلالات العلمية للآيات الكريمة

(الطعام) و(الطعم) هو كل ما يؤكل، و(الطعم) تناول الغذاء، و(الطعمة) المأكلة، ويقال:(طعم)(طعما) إذا أكل أو ذاق فهو(طاعم)، و(استطعمه) أي سأله أن يطعمه فأطعمه.
وقد يستعمل الفعل(طعم) في الشراب أيضا لقول الحق(تبارك وتعالى) على لسان طالوت لجنوده:... إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني* (البقرة:٢٤٩).

وقول رسول الله(صلى الله عليه وسلم) في وصفه لماء زمزم إنه طعام طعم وشفاء سقم.
ولذلك بدأت هذه المجموعة من الآيات التي تتحدث عن الطعام في سورة عبس بقول الحق(تبارك وتعالى):
أنا صببنا الماء صبا.

ومن الثابت علميا أن الماء سابق في وجوده على خلق الحياة لأن الحياة الأرضية التي نعرفها لا تقوم بغير الماء الذي أخرجه ربنا(تبارك وتعالى) أصلا من داخل الأرض، وصدق الله العظيم إذ يقول:
والأرض بعد ذلك دحاها* أخرج منها ماءها ومرعاها*(النازعات ٣٠ و ٣١)
وعلى الماء قامت حياة كل من النبات والحيوان والإنسان وأعد الله(تعالى) للإنسان كل صنوف الطعام التي يحتاجها في حياته، ومن هنا كانت الإشارة إليه لينظر إلى طعامه نظر تدبر وتفكر واعتبار.

ثانيا: أنا صببنا الماء صبا:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعتبر دورة الماء حول الأرض من دلالات طلاقة القدرة الإلهية، فقبل إخراج ماء الأرض من داخلها عبر فوهات البراكين، كان الله(تعالى) قد هيأها سقفا باردا تتكاثف عنده وهو الحد العلوي لنطاق الرجع(نطاق التغيرات المناخية) الذي تصل عنده درجة الحرارة فوق خط الاستواء إلى(٦٠) درجة تحت الصفر، ولولا هذه الحقيقة لارتفع بخار الماء المتصاعد من الأرض إلى طبقات الجو العليا وانفلت من نطاق جاذبية الأرض إلى فسحة الكون، ولو حدث ذلك ما كنا ولا كانت الحياة من حولنا على الإطلاق.
وعند وصول بخار الماء المتصاعد من الأرض إلى الحد الأعلى لنطاق الرجع تكثف وعاد إلى الأرض مطرا، وساعد تكرر نزول المطر على تبرد الغلاف الصخري للأرض، كما ساعد على سيلان الماء على سطح الأرض شاقا أودية له على هيئة أعداد من الأنهار والجداول، وعلى تحركه إلى منخفضات الأرض ليملأها بالماء مكونا البحار والمحيطات والبحيرات وغير ذلك من تجمعات الماء على سطح الأرض، وبمجرد تكون ذلك بدأت أشعة الشمس في تبخير هذا الماء ليرتفع على هيئة بخار يعلق بأجزاء من الغلاف الغازي للأرض مكونا السحب التي يتكاثف منها الماء ليعود إلى الأرض مطرا، وبردا، وثلجا.

وقد استمرت دورة الماء حول الأرض منذ أن أخرج الله(تعالى) منها ماءها وسوف تستمر إلى أن يرث الأرض ومن عليها.
وبهذه الدورة المعجزة التي يتحرك بها الماء من غلاف الأرض المائي إلى غلافها الهوائي ليتطهر مما يتجمع فيه من ملوثات، ومواد يذيبها من الغلاف الصخري للأرض، أو تعلق به في أثناء جريانه على سطحها، أو من بقايا بلايين الكائنات الحية التي تحيا وتموت في الأوساط المائية. وتمتد دورة الماء من نحو الكيلو متر الواحد تحت سطح الأرض إلى ارتفاع يقدر بنحو خمسة عشر كيلو مترا فوق مستوى سطح البحر، فتعمل على تطهير الماء، وتلطيف الجو، وتوفير نسبة معينة من الرطوبة في كل من الغلاف الغازي للأرض وتربتها تحتاج إليه غالبية صور الحياة إن لم تكن جميعها خاصة في المناطق الصحراوية.

وبواسطة هذه الدورة المائية التي استمرت على مدار عمر الأرض المقدر بنحو خمسة بلايين من السنين تمت تسوية سطح الأرض، وشق الفجاج والسبل فيها، كما تم تفتيت الصخور، وتكوين كل من التربة والصخور الرسوبية، وخزن قدر من هذا الماء فيها وفي غيرها من صخور قشرة الأرض، وتكوين أعداد من الصخور الاقتصادية والركازات المعدنية المهمة.
ولولا هذا الإعداد الرباني الدقيق ما أنبتت الأرض، ولا كانت صالحة للعمران، ولذلك يمن علينا ربنا(تبارك وتعالى) وهو صاحب الفضل والمنة بقوله(عز من قائل): أنا صببنا الماء صبا أي أنزلنا الغيث من السماء إنزالا، لأن صب الماء هو إراقته من أعلى، والصبيب هو المصبوب من المطر وإن استعمل لغيره من السوائل، فإذا علمنا أن كمية الماء الأرضي تقدر بنحو ١,٤ بليون كيلو متر مكعب، وأن من هذه الكمية الهائلة التي أخرجها ربنا (تبارك وتعالى) لنا من داخل الأرض، يتبخر سنويا ٣٨٠ ألف كيلو متر مكعب، ثم تعود كلها إلى الأرض مرة أخرى مطرا طهورا، يوزعه الله(تعالى) بعلمه، وحكمته، وقدرته، إذا علمنا ذلك لأدركنا قيمة هذه النعمة الإلهية الكبرى التي وصفها الحق(تبارك وتعالى) بقوله: أنا صببنا الماء صبا، وقوله(عز من قائل):
وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا* لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا(الفرقان:٤٨، ٤٩).

ثالثا: ثم شققنا الأرض شقا:

ترد كلمة الأرض في القرآن الكريم بثلاثة معان محددة لتعني كوكب الأرض في مجمله، أو الغلاف الصخري المكون لليابسة التي نحيا عليها، أو قطاع التربة الذي يغطي ذلك الغلاف الصخري في بعض أجزائه، كما هو واضح من الآية الكريمة التي نحن بصددها لقول الحق(تبارك وتعالى):
ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا
وذلك لأن الحب لا ينبت إلا في التربة، وكذلك الغالبية الساحقة من النباتات.
وتتكون تربة الأرض بالتفاعل المعقد بين أغلفتها الصخرية، والمائية، والهوائية، والحيوية، مما يؤدي إلى التفكك الفيزيائي والتحلل الكيميائي والحيوي لصخور الأرض بواسطة عوامل التعرية المختلفة، وتلعب الكائنات الحية من مثل البكتيريا، والفطريات، والطحالب، وجميع النباتات، وبعض الحيوانات دورا رئيسيا في تكون التربة التي تعتبر مصدر الغذاء والماء لحياة كل النباتات الأرضية، بل لحياة كل من الإنسان والحيوان.
وتتكون التربة الأرضية في قطاعها العلوي أساسا من معادن الصلصال، وحبات الرمل، وأكاسيد الحديد،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكربونات كل من الكالسيوم والمغنيسيوم، وإن كانت أنواع التربة تتعدد تعددا هائلا بتعدد أنواع الصخور التي تنشأ عنها، والظروف الطبيعية والكيميائية التي تتعرض لها، وأنواع الكائنات الحية التي تزخر بها، والتي تلعب أدوارا رئيسية في إعدادها.

وعلى الرغم من ذلك تبقى المعادن الصلصالية قاسما مشتركا في معظم أنواع تربة الأرض، والمعادن الصلصالية لها شراهة شديدة للماء، فإذا وصلها امتصته بسرعة فتميأت مما يؤدي إلى زيادة حجمها فتهتز وتربو إلى أعلى حتى ترق رقة شديدة، فتنشق لتفسح طريقا آمنا لسويقة(ريشة) النبتة المنبثقة من داخل البذرة النابتة المدفونة في التربة، ومن هنا كانت تلك الإشارة القرآنية المعجزة في هذه السورة المباركة التي جمعت بين صب الماء، وشق الأرض، والإنبات في تسلسل دقيق معجز يقول فيه ربنا(تبارك وتعالى):
أنا صببنا الماء صبا* ثم شققنا الأرض شقا* فأنبتنا فيها حبا*(عبس: ٢٥ -٢٧).

ومن أسباب اهتزاز التربة وارتفاعها حتى تنشق دقة حجم حبيبات المعادن الصلصالية(أقل من ٠,٠٠٤ من المليمتر) التي تتحول إلى الحالة الغروية بمجرد اختلاط الماء بها بكمية كافية، وهي حالة تتدافع فيها جسيمات المادة بقوة وأقدار غير متساوية في جميع الاتجاهات، وعلى كل المستويات في حركة دائبة تؤدي إلى اهتزاز التربة وانتفاخها وانتفاضها بشدة حتى تنشق، وكلما زادت كمية الماء المختلط بالتربة زاد اهتزازها وارتفاعها وسارع ذلك في تشققها بإذن الله(تعالى).
رابعا: فأنبتنا فيها حبا* وعنبا وقضبا* وزيتونا ونخلا* وحدائق غلبا* وفاكهة وأبا* متاعا لكم ولأنعامكم*:

هذا التسلسل المعجز في ست آيات قصار يكاد يشمل جميع النباتات التي تصلح طعاما ومتاعا لكل من الإنسان وأنعامه..
(١) فالكلمة:(حبا) تشمل جميع أنواع الحبوب(من ذوات الفلقة الواحدة) من مثل القمح، والشعير، والشوفان، والذرة، والأرز، وغيرها، وتنطوي هذه النباتات في عائلة واحدة تعتبر من أكثر النباتات نجاحا لأنها تسود مساحات من اليابسة أكثر من أية نباتات أخرى، وتعرف هذه العائلة باسم عائلة النجيليات(العائلة النجيلية) وتشمل نحو سبعة آلاف نوع من أنواع النباتات، وهي أهم عائلة نباتية بالنسبة لكل من الإنسان والحيوانات آكلة الأعشاب كالأنعام، لأن جميع أنواع الحبوب اللازمة لحياة كل منهما تنطوي في هذه العائلة، وقد أنبتها الله(سبحانه وتعالى) قبل خلق الإنسان بملايين السنين، وأخذ الإنسان في زراعتها منذ أيام ما قبل التاريخ.

وبالإضافة إلى هذه المحاصيل المهمة من الحبوب تضم عائلة النجيليات محاصيل أخرى مهمة من مثل قصب السكر، وأعشاب المراعي، ومنها الحولية والمعمرة، كما تضم بعض النباتات الخشبية من مثل نبات الخيزران.
(٢) والتعبير القرآني: وعنبا وقضبا أيضا تعبير معجز لأن(العنب) يشير إلى رتبة كاملة من نباتات الثمار المهمة هي رتبة العنابيات، وتشمل عائلتين مهمتين هما: عائلة العناب وتشمل(٤٥) جنسا، و(٥٥٠) نوعا من أنواع النباتات واسعة الانتشار من مثل العناب، والنبق، وعائلة الأعناب، وتشمل(١١) جنسا، و(٦٠٠) نوع من أنواع العنب وهو واحد من أهم المحاصيل النباتية.

أما(القضب) و(القضبة) فهو الرطب من ثمار النبات، و(القضب) أصلا هو القطع، و(اقتضبه) أي اقتطعه، ولذا استعير(القضب) لما يقضب من النبات ليأكله الإنسان غضا طريا كالبقول التي تقطف ثمارها فينبت مكانها، أو تقطف النبتة فينبت أصلها، وفي ذلك إشارة إلى العائلة البقولية، وهي ثاني أكبر عائلة نباتية بذرية يعتمد عليها كل من الإنسان وأنعامه في طعامه، بعد العائلة النجيلية، وهي عائلة نباتاتها منتشرة في جميع أنحاء العالم، وتشمل نحو(٦٠٠) جنس، و(١٢,٠٠٠) نوع من أنواع النباتات ذات الفلقتين وتشمل فيما تشمل: الفول، العدس، الحمص، الفاصوليا، اللوبيا، البازلاء، فول الصويا، الفول السوداني، الترمس، الحلبة، الخروب، التمر هندي، وغيرها، وكلها من ذات الثمار القرنية، ولذلك تعرف أحيانا باسم العائلة القرنية.
كذلك تشمل هذه العائلة نبات البرسيم الحجازي الذي يعتبر علفا رئيسيا للحيوانات آكلة الأعشاب كالأنعام، وغيرها من أعشاب المراعي والأعلاف، ونباتات الزهور، والنباتات الطبية.

(٣) والتعبير القرآني: وزيتونا ونخلا: يشير إلى عائلتين من أهم العائلات النباتية هما العائلة الزيتونية، والعائلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النخيلية، والأولى تشمل(٢٢) جنسا، و(٥٠٠) نوع من أنواع الأشجار الزيتونية وهي أشجار معمرة، فأشجار الزيتون تعيش لأكثر من ألفي سنة، وهي شجرة مباركة كما وصفها القرآن الكريم ونعتتها أحاديث رسول الله(صلى الله عليه وسلم). أما العائلة النخيلية فتشمل(٢٠٠) جنس، وأكثر من أربعة آلاف نوع من أنواع النخيل، والنخيل من أكثر النباتات احتمالا للجفاف والملوحة، وتنمو في المناطق الحارة الجافة والمعتدلة، وثمارها ومنتجاتها تعتبر من أهم المصادر النباتية التي اعتمد عليها الإنسان في حياته منذ وطنت قدماه هذه الأرض.

(٤) والتعبير القرآني:(حدائق غلبا) أي حدائق عظاما، غليظة الأشجار ملتفة الأغصان، لتشمل الغالبية الباقية من أنواع النباتات، خاصة نباتات الظل، والزينة، والأخشاب، كما تشمل الكثير من نباتات الثمار المختلفة التي لا تنضوي في المجموعات السابقة.

(٥) أما التعبير القرآني: وفاكهة وأبا فيركز على نباتات الفاكهة المختلفة التي لا تحتويها المجموعات السابقة من مثل العائلات التوتية(وتشمل التين، والجميز، والتوت، وغيرها)، والوردية(وتشمل المشمش، والخوخ، والبرقوق، والكريز، واللوز في تحت العائلة المشمشية، والتفاح، والكمثري، والبشملة، والسفرجل في تحت العائلة التفاحية) والسذبية(عائلة الموالح) وغيرها.
أما(الأب) فهو الكلأ والمرعي، وما تأكله البهائم كالأنعام من العشب، وغيره من أنواع النبات رطبا كان أو يابسا (مثل التبن).

وهكذا نرى في هذا التسلسل المعجز لخمس آيات قصار لا تشغل أكثر من سطرين استعراضا لأهم النباتات التي تشكل الطعام الرئيسي لكل من الإنسان وأنعامه، ولذا ختمت بقول الحق(تبارك وتعالى):(متاعا لكم ولأنعامكم).
وعلوم تقسيم الحياة بصفة عامة، وعلم تقسيم النبات بصفة خاصة هي علوم مستحدثة في تاريخ الإنسان، بدأت مع منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، ولم تتبلور إلا في أواخر القرن العشرين. واستعراض الآيات التي نحن بصددها لأهم مجموعات النبات في طعام كل من الإنسان وأنعامه بهذه البساطة، والدقة، والشمول، والإحاطة، لمما يقطع بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، ويشهد بالنبوة والرسالة للرسول الخاتم الذي تلقاه، فصلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبع هداه، ودعا بدعوته إلى يوم الدين.. والحمد لله رب العالمين..

فلينظر الإنسان إلى طعامه

حدثناكم في المواضيع السابقة عن الأرض الهامدة وكيف أن الله سبحانه وتعالى يحيا بالماء والنبات ، وكيف تهتز وتربو بالنبات وبالكائنات الحية الدقيقة وغيرها ، وتكون اليخضور سر الحياة العظيم في هذا الكون البديع المنظم .

وفي الصفحات التالية أحدثك أخي المسلم عن الإعجاز النباتي في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة عبس : (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ {٢٤} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا {٢٥} ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا {٢٦} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا {٢٧} وَعِنَبًا وَقَضْبًا {٢٨} وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا {٢٩} وَحَدَائِقَ غُلْبًا {٣٠} وَفَاكِهَةً وَأَبًّا {٣١} مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)[1].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معاني الألفاظ:

فلينظر الإنسان إلى طعامه : نظرة تفكر واعتبار وكيف هيأه الله سبحانه وتعالى له.

صببنا الماء صباً : أي بقدرتنا أنزلناه من السحاب إلى الأرض إنزالا عجيباً .

شققنا الأرض شقا: بالنبات والحرث وغيرها من العوامل .

قضباً : علفاً رطباً للدواب

حدائق غلباً : بساتين عظاماً متكاثفة الأشجار

أباً : كلأً وعشباً وهو التبن خاصة.

وفي تفسير هذه الآيات نقول وبالله التوفيق :

هذه الآيات من آيات الإعجاز النباتي في القرآن الكريم والقرآن كله معجز حيث بدأت الآيات باستحثاث الإنسان أن ينظر إلى طعامه (الماء ــ المواد كهربوهيدراتية والمواد الدهنية ، والمواد البروتينية والمعادن والفيتامينات والأملاح)ونشأتها وعناصرها ، ومصادرها ، وتنوعها جميع المواد الغذائية السابقة على اختلافها عدا الماء ة والمعادن وبعض الأملاح جاءت من النبات والنبات نشأ بالإنبات وجميع الفاكهة مرتبط بالتربة (الأرض) والأرض تتشقق بالإنبات والعديد من العوامل الكيمائية والفيزيائية والأحياء الأخرى .

وقد فصلت الآيات الكريمات التي نحن بصدد الحديث عنها هذه العناصر والعوامل وجمعتها في الإعجاز معجز وهذا ما سنعيش في رحابه في السطور التالية:

قال تعالى:(فلينظر الإنسان إلى طعامه) : هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للإنسان مؤمنه وكافره أن ينظره إلى طعامه نظرة تفكر واعتبار ليرى كيف يسر الله سبحانه وتعالى برحمته وخلق بقدرته الطعام نظرة تفكر واعتبار ليرى كيف يسر الله سبحانه وتعالى برحمته وخلق بقدرته الطعام الذي هو قوام حياته وحياة أنعامه.

ونحن إذا نظرنا في الآية نظرة علمية نجد العجب العجاب ، حيث أن المصدر الأصلي ، لطعام الإنسان والحيوان وباقي الكائنات الحية غير ذاتية التغذية هو النبات والكائنات الحية ذاتية التغذية الأخرى ، والتي يضعها العلماء في المملكة النباتية أو مملكة البدائيات أو مملكة الطلائعيات هي التي تثبت الطاقة الشمسية في وجود الماء وثاني أكسيد الكربون ومعادن الأرض وأملاحها ، وتحولها بقدرة الله وفي وجود اليخضور وخلافه إلى روابط كيميائية غنية بالطاقة في المواد الغذائية والسكريات أو المواد الكربوهيدراتية هي من أول المركبات الغذائية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تكويناً ومنها تستطيع بعض الكائنات الحية ، بما أودع الله فيها من أسباب العيش والحياة وقدرات حيوية تستطيع تكوين باقي المواد الغذائية من دهون وبروتين وخلافه .
وأن النبات وبعض الكائنات الحية الدقيقة هي مصدر الفيتامينات اللازمة لحياة الكائنات الحية .

والأرض هي مصدر المعادن ومعظم المعادن الأملاح الضرورية لحياة الكائنات الحية وعلى رأسها الإنسان والنبات والحيوان ، والكائنات الحية الدقيقة والبدائيات والطلائعيات .
ولقد ربطت الآيات الكريمة في إعجاز معجزين عوامل تكوين الغذاء (الطعام) وهي الماء والأرض والنبات.

أولاً: الماء :

بدون الماء لا توجد حياة ، قال تعالى :(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)وبدون الماء لا يوجد نبات .

قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[2]

وبدون النبات لا توجد مادة خضراء (فأخرجنا منه خضراً) وبدون الخضر لا يوجد حب (خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ) .

وبدون الماء لا تتم عملية البنا ءالضوئي ولا يستطيع النبات امتصاص المعادن من التربة ولا يتكون الغذاء.

ثانياً: الأرض:

بدون الأرض لا يوجد نبات حتى ولو كان هذا النبات يعيش مائية لا أرضية لأن الأرض هي مصدر المعادن الضرورية لحياة النبات، وبدون شق الأرض وتحويلها من أرض صخرية لا تنبت الزرع إلى أرض مفتتة قابلة للتشقق ، تصلح لزراعة النبات وإنمائه ، وتوفر له الحماية والغذاء المعدني في صورة ذاتية ويمثل تكوين الأرض الزراعية نعمة كبرى من النعم التي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنعم الله بها على عباده، وهكذا يظهر الإعجاز في الآيات السابقة .

النخل في القرآن الكريم والعلم الحديث

النخلة من الأشجار المباركة ، في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، و العلم الحديث والمحببة إلى النفوس في البلاد العربية والإسلامية فعندما تذكر النخلة يذكر الخير كله ، حتى قيل بيت بلا تمر فيه بيت بلا طعام ، وبلد بلا نخل بلد بلا خير، فقد ورد في الحديث الشريف :(خير المال سكة مأبورة، أو مهرة مأمورة)[3]أي سكة نخل مصلحة .

وسوف نورد فيما يلي الآيات القرآنية التي ورد بها بعض الصفات العلمية للنخلة ثم نورد بعض أوصاف النخلة في السنة النبوية المطهرة وأقوال بعض الحكماء والعلماء ونختم الموضوع بالصفات العلمية للنخلة مع بيان هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم وحكمة الإفطار على الرطب أو التمر عقب الصيام لنرى أن الإسلام دين العلم وأن القرآن معجز وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى .

أولاً : بعض صفات النخلة في القرآن الكريم:

بعض صفات النخلة في القرآن الكريم :

قال تعالى : (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ {١٠} رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ)[4].

باسقات : طوالاً أو حوامل .

لها طلع : ثمرها ما دام في وعائه.

نضيد : متراكم بعضه فوق بعض .

١. قال تعالى : (ومن النخل من طلعها قنوان دانية)..

طلعها : هو أول ما يخرج من ثمر النخل في الكيزان

قنوان : عذوق وعراجين كالعناقيد تنشق عنها الكيزان

دانية : متدلية أو قريبة من المتناول

قال تعالى : (وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ).

مختلفاً أكله : ثمره المأكول في الهيأة والكيفية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢. قال تعالى :(فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ).

ذات الأكمام : أوعية التمر وهي طلع

قال تعالى : (وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[5]

سكراً : خمراً ثم حرمت بالمدينة

٣. قال تعالى : (وزروع ونخل طلعها هضيم)

هضيم : ثمرها نضيج أو متدل لكثرته.

٤. قال تعالى : (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل وغير صنون يسقى بماء واحد..

نخيل صنوان : نخلات يجمعها أصل واحد.

الأكل :ما يؤكل ، وهو الثمر والحب .

٥. قال تعالى : (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) [6]

رطباً جنياً : صالحاً لإجتناء أو طرياً

من الآيات السابقة نرى أن من صفات النخل في القرآن الكريم ما يلي :

١. النخل باسقات : يعني طوالا

٢. طلعها نضيد: متراكم على بعضه

٣. ثمارها دانية : متدلية أو قريبة من المتناول

٤. ذات الأكمام : لها أوعية للثمر

٥. يصنع من ثمارها : الخمر ، وقد حرمت بالمدينة المنورة.

٦. يصنع من ثمارها : الرزق الحسن مثل السكر والدبس والعجوة وغيرها.

٧. من النخيل صنوان : نخلة بجذع واحدة

٨. ومنها غير صنوان : نخلة بجذع واحدة

٩. مختلفاً أكله : فمنه الأخضر والأحمر والأصفر والأسود والبني والطري والجاف .

١٠. نفضل بعضها على بعض في الأكل : فمنه شديد الحلاوة ومتوسط الحلاوة وقليل الحلاوة، وغير المليء بالألياف وقليل الألياف .

١١. رطباً جنياً : صالحاً للإجتناء طريا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثاً : النخلة في السنة المطهرة :

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن كشجرة لا يتحاتّ ورقها (أي لا يسقط) قال ابن عمر : فوقع في نفسي أنها النخلة وعنده رجال من العرب فذكروا الشجرة فما أصابوا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وهي النخلة) (أخرجه الشيخان مع اختلاف يسير).

(٢) قال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل :(مَثَلُ المُؤْمِنِ الّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجّةِ رِيحُهَا طَيّبٌ وَطَعْمُهَا طَيّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الّذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ التّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيّبٌ وَلا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيّبٌ وَطَعْمُهَا مُرّ، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الّذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرّ وَلا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ جَلِيسِ الصّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ أَنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ جَلِيسِ السّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الكِيرِ إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ).

(٣) وفي الحديث (خير المال سكة مأبورة) أي سكة نخل مصلحة (أبو داود أو حاتم السجستاني في كتاب النخل من دون تخريج).

ثالثاً : قالوا عن النخلة :

قال لقمان لأبنه : يا بني : ليكن أول شيء تكسبه بعد الإيمان بالله خليلاً صالحاً فإنما الخليل الصالح كمثل النخلة ، إن قعدت في ظلها أظلت و إن احتطبت من حطبها نفعتك وإن أكلت من ثمرها وجدتها طيباً.

عن الشعبي أن قيصر ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أما بعد : فإن رسلي أخبرتني أن قبلكم (بكسر القاف وفتح الباء) شجرة تخرج مثل آذان الفيلة ثم تنشق عن مثل الدر الأبيض ، ثم تخضر كالزمرد الأخضر ، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ثم تنضج فتكون كأطيب فالوذج (حلوى) أكل ، ثم تينع وتيبس فتكون عصمة للمقيم، وزاداً للمسافر فإن تكن رسلي صدقتني فإنها من شجر الجنة.

فكتب إليه عمر رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أمير المؤمنين إلى قصير ملك الروم السلام على من ابتع الهدى أما بعد، فإن رسلك قد صدقتك ، وإنها الشجرة التي أنبتها الله جل وعز على مريم حين نفست بعيسى فاتق الله ولا تتخذ عيسى إله من دون الله .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال أبو حاتم بن سهل بن محمد السجستاني رحمه الله في كتابه النخل :

النخلة سيدة الشجر مخلوقة من طين آدم ــ صوات الله عليه ــ وقد ضربها الله ــ جل وعزــ مثلاً لقوله (لا إله إلا الله) فقال تبارك وتعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة) وهي قول (لا إله إلا الله) (كشجرة طيبة) وهي النخلة فكان أن قول (لا إله إلا الله) سيد الكلام كذلك النخلة سيدة الشجر.

قال الشاعر :

كن كالنخل عن الأحقاد مرتفعاً يرمي بحجر فيلقي بالطيب الثمر

قال حسان بن ثابت يفخر بالنخلة :

بها النخل والآطال تجري خلالها جداول ، قد تعلو رقاقاً وجرولاً

ربعاً : النخلة في العلم الحديث :

النخلة من النباتات البذرية الزهرية مغطاة البذور، من ذوات الفلقة الواحدة تتبع رتبة النخيليات (ORDER : PRINCIPES)التي تحتوي على فصيلة واحدة هي الفصيلة النخيلية (FAMILY : PALMAE) المشتملة على حوالي (٢٠٠) جنس وأكثر من (400) نوع أهمها جنس فونيكس (PHOENIX)والذي يحتوي حوالي (١٧) نوعاً توجد غالباً في المناطق الجافة وشبه الجافة .

ويقال إن اسم فونيكس مشتق من الفينيقية الذين كانوا يتجرون في التمر، أو من اسم الطائر الخرافي (الفونيكس) لقدماء المصريين .

والنوع من الجنس السابق الذي يتم الاستفادة منه تجارياً هو النوع (DACTYLIFERA)المنتج للبلح المستخدم في صناعة التمر وهو ما نعنيه في هذا الموضوع ويسمى نخيل البلح (DATE PALM) واسمه العلمي PHONIX DACTLYFERAوالنخلة شجرة ثنائية المسكن (الذكر منفصل عن الأنثى) واسعة الانتشار في جزيرة العرب ومنطقة الخليج ومصر والعراق والشام ومما كرم الله سبحانه وتعالى أهل الإسلام به ، وكرم النخلة أن النخل منتشر في ديار المسلمين ويندر وجوده في بلاد غير المسلمين .

الشكل الظاهري لنخلة البلح :

نخلة البلح كما قلنا شجرة ثنائية المسكن ، يصل طولها إلى (٣٠) متر ارتفاعاً ، يعلوها تاج من الأوراق الخضراء المركبة الريشية طول الواحدة منها حوالي (٦) أمتار ، تحيط قواعد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأوراق الغمدية بالساق وتحمل وريقات (الخوص) لها قمة مدببة حادة يتحور بعضها السفلي إلى أشواك (سل النخل) طويلة خشنة .

ساق النخيل كما قلنا ساق طويلة، صنوان وغير صنوان، ويخرج منها الفسائل قرب سطح الأرض عادة .

تخرج النورات (مجموعة أزهار متجمعة) من آباط الأوراق على هيئة كوز أخضر مائل إلى البني من أطراف تحمل الكيزان بداخلها اغريض (عزق) مركب متفرع إلى عدة فروع ، تحمل عليها أزهار وحيدة الجنس(إما مذكرة أو مؤنثة) لونها في البداية أبيض قشدي ، والثمرة ذات بذرة واحدة (النواة) مستطيلة أهليلجية الشكل لونها متغير من الأخضر الغامق إلى الأصفر الزاهي ومن البني المحمر إلى الأرجواني .

تحمل النخلة المؤنثة أكثر من عشرة آلاف زهرة ، والمعلوم علمياً أن كل زهرة بعد تلقيحها أو إخصابها تعطي ثمرة .

طرق تكاثر النخيل:

يتم تكاثر النخيل بالطرق التقليدية والطرق الحديثة ومنها :

أ. الطرق التقليدية :وتتم بإحدى الطريقتين :

١) التكاثر الجنسي :وذلك بزراعة النوى، ولكن يعاب على هذه الطريقة أن النباتات الناتجة منها عادة لا تتشابه مع النخلة الأم في الصفات الثمرية، وحوالي (٥٠%) منها على الأقل تكون ذكوراً، كما أن الشتلات منها تتأخر كثيراً في الإثمار، ومعظم البلح والتمر الناتج منها من النوع الرديء.

٢) التكاثر بالفسائل :

وهذا معلوم لنا جميعاً، وتتميز النخلة الناتجة من هذا النوع من التكاثر بتشابهها مع النخلة الأم في المواصفات العامة ونوعية الثمار .

ويعاب على هذه الطريقة :

أنها أبطأ الطرق حيث أن النخلة (الأم) الواحدة لا تعطي أعداداً كافية من الفسائل كما أن تكون الجذور في هذه الفسائل ليست بالنسبة الكافية، وبالتالي فإن أعداد الشتلات المنتجة لا تواكب طموحات الدول التي ترغب في التوسع في زراعة النخيل .

وفي هذه الطريقة تنتقل معظم الأمراض، الموجودة في النخلة الأم إلى الفسائل .

وهذا يستلزم إيجاد طرائق إيجاد طرائق أخرى تمكننا من توفير الشتلات بالأعداد المطلوبة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الوقت المطلوب ، وأن تكون خالية من الأمراض وهنا تظهر أهمية زراعة الأنسجة في المختبر .

٣) نخل الأنابيب :

وتعرف هذه الطريقة علمياً بزراعة الأنسجة النباتية وفيها نأخذ نسيجاً معيناً من النخلة مثل السكريات والنيتروجين والفيتامينات والهرمونات والمعادن والأملاح والماء ومادة مصلبة (الآجار ــ آجار) .

وبهذه الطريقة إذا كان عندنا نخلة واحدة من النوع الممتاز فإننا نستطيع أن نزرع منها آلاف القطع النسيجية في آلاف أنابيب الأختبار لنحصل على آلاف الفسائل الممتازة والخالية من الأمراض في مدة لا يتجاوز (١٢-١٦) أسبوعاً .

وتتم هذه الطريقة بأخذ القمة النامية للبراعم القمي، أو البراعم الإبطية والمسمى بالجمّار ثم نعقمه ونقطعه إلى أجزاء صغيرة يتم زراعتها في جو معقم على المنبت الغذائي سالف الذكر داخل أنابيب الأختبار وتحضن في غرف خاصة فنحصل على النبيتات (PLANTLET) التي ننقلها بعد حوالي١٦ أسبوعاً إلى صوبة خارجية مكيفة الهواء ثم ننقلها تدريجياً إلى صوبة محمية في الجو الخارجي إلى أن تتأقلم الشتلات مع الجو الخارجي وفي النهاية تزرع الشتلات في المكان المستديم .

والنخلة الناتجة عن هذا النوع من التكاثر تتطابق صافتها مع صفات النخلة الأم التي تأخذ منها النسيج المرستيمي وتكون خالية من الأمراض الوبائية والمعدنية .

وهذه الطريقة متبعة في كثير من الدول العربية مثل : تونس والبحرين ومصر والإمارات العربية والمملكة العربية السعودية وغيرها.

المصدر :كتاب آيات معجزات من القرآن وعالم النبات

تأليف الدكتور نظمي خليل أبو العطا دكتور الفلسفة في العلوم (نبات) جامعة عين شمس .

---

[1] سورة عبس

[2] سورة الأنعام

[3] كتاب كنز العمال ٩٣٥٥

[4] سورة ق ١١

[5] سورة النحل ٦٧

[6] سورة مريم ٢٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com